Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفولكلورية ، واحتفالية ، إستعصى عليهم تأويل الظاهرة ، واكتفوا بملاحقة وصفية لتكرارية النصوص والأغراض والمعارضات والإجازات ، التي تعتبر وسيلة فعالة لحفظ الثقافة ، حتى لو افتقدت مواصفاتها وحوافزها .

وتستمد أطروحة نقولا زيادة ، مقوماتها من نوع من الغيرة ، والأسف على تغافل العرب عن مصادر تحولهم . متغافلاً بدوره ، عن وجود حتمية تاريخية وجدلية ، يتم داخلها كل تحول ، ومع أن البعد الزمني ، بين المؤرخ والظاهرة ، كان كافياً لتحقق بعد معرفي بالظاهرة ، إلا أنه يستمر في التدليل بدل التحليل ، ويستمر نقولا زيادة ، في بحث ما يعزز أطروحته من أمثلة :

« وها نحن أولاً نقلب صفحات الكتب التي أرخت للرجال ، كالاستقصاء للسلاوي ، والنبوغ المغربي ، في الأدب العربي ، لعبدالله كنون ، وإتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف، والمنهل العذب للأنصاري ، وعجائب الآثار للجبرتي ، وخلاصة الأثر للمحبي ، وتاريخ الأدب العربي في العراق ، للعزاوي ، وغيرها . فنجد أن الأمر لا يعدو أن فلاناً أتقن كذا وكذا ، من علوم الدين ، ولخص كذا وكذا ، من كتب الفقه أو الحديث أو التفسير أو شرحها ، أو علق على متونها . ثم جلس للتدريس في واحد من معاهد العلم التقليدية ، وكأني بالعالم العربي . وخاصّة الأجواء التي تبعت الدولة العثمانية منه ، قد أدار ظهره إلى الغرب ، الذي كان يسير تماماً في نهضته وإصلاحه الديني ، وكشوفه الجغرافية وأحيائه الآداب القديمة ، وتعبيره عن مشاكله الجديدة ، وكشفه بعض نواميس العلوم الطبيعية ، فكان العرب بمنأى عن هذا كله »[5] والحق أن تأخير إهتمام العرب بالخارج ، من الأشياء الأكثر طبيعة ، لأن إهتمام الغرب بالخارج ، لم يأت عفوياً ، بل استجابة لفترة رأسمالية وامبرالية ، كانا شراً لا بد منه ، للفت الإنتباه نحو الخارج . فالأطروحة التي يروج لها نقولا زيادة ، لا تعني إنها خاطئة أو واقعية ، ولكنها تتجاهل الحاجات والحوافز الدّاخلية للعالم العربي ، معتقدة في الحلول السحرية ، لخارج كان الإنفتاح عليه ، فَصرْنَا مفتوحين له ، دون أن تتحقق

---

( 5 ) نقولا زيادة ، السابق ، ص 2 .